

أجواء روحية في الشهر الفضيل



نرى أنَّ الإسلام ركَّزَ في هذا الشهر المبارك إلى جانب الفريضة على كثير من المستحبات التي تساهم مساهمة فاعلة كبيرة في تغذية الشعور بالصورة الحيَّة المعطاءة، والتي تخلق جوًّا روحياً عالياً يؤدِّي دوراً مهماً في مجال رفع مستوى العمل العبادي وإنتاجه المرجو.. والمستحبات في هذا الشهر كثيرة سنتناول منها ما يلي:

1- الإستعداد له بتقديم التوبة والإقلاع عن المُحرِّمات.. ففي الوسائل ج7، عن محمد بن علي بن الحسين في عيون الأخبار، عن تميم بن عباد بن التميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) في آخر جمعة من شعبان، فقال لي: "يا أبا الصلت، إنَّ شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة منه.. فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه.. وعليك بالإقبال على ما يعينك وترك ما لا يعينك.. وأكثر من الدُّعاء والاستغفار وتلاوة القرآن.. وثبَّ إلى الله من ذنوبك، ليُقبلَ شهر الله عليك وأنت مخلص عز وجل.. ولا تدعن أمانةً في عُذُقِكَ إلا أدَّيتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمنٍ إلا نزعته، ولا ذنباً أنت ترتكبه إلا أقلعت عنه، واتَّقِ الله وتوكل عليه في سرائرك وعلايتك، ومَن توكَّل على الله فهو حسبه، إنَّ الله

بالغُ أمره، قد جعلَ الله لكلِّ شيءٍ قَدْرًا.. وأكثر من أن تقولَ فيما بقي من هذا الشهر: أَلْهِمَّ إن لم تكن قد غفرتَ لنا فيما مضى من شعبان، فاغفر لنا فيما بقي منه، فإنَّ الله يُعْتِيقُ في هذا الشهر رقاباً من النار كرامة لشهر رمضان".

2- قراءة القرآن الكريم: فهي من المستحبات المؤكدة جعلت في مقابلة الثواب الكثير.. وكلما كانت القراءة مستوفية لشروطها من الوعي والإدراك والعزم على العمل والتطبيق، والتفاعل الروحي والوجداني كانت أكثر ثواباً وأقرب مغفرة، يقول الرسول الأعظم(ص) في خطبته التي مرّت علينا: "ومَن تلا فيه آية من القرآن، كان له أجر مَن ختم القرآن في غيره من الشهور".

وفي الوسائل، ج7، محمد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر(ع)، قال: "لكلِّ شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان".

وقد ورد في العديد من الروايات من الفضل والثواب لذلك الشيء الكثير، وقد عيَّنت بعض الروايات قراءة سور معيَّنة في ليالٍ معيَّنة، يقول أحد العلماء المحدثين: واعلم بأنَّ أفضل الأعمال في شهر رمضان المبارك قراءة القرآن، والقراءة يجب أن تكون كثيرة لأنَّ القرآن نزل في هذا الشهر، وورد أنه لكلِّ شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان، وفي الأشهر الأخرى تستحب ختمة واحدة وأقلّها ستة أيام، وفي شهر رمضان تستحب ختمة في كلِّ ثلاثة أيام.

ونرى أنَّ لقراءة القرآن، بالإضافة إلى ما فيها من الأجر والثواب، فإنها تخلق في النفس معطيات كثيرة منها:

(أ) التطهير النفسي بسبب التأثير بإرشادته المطهرة المحببة.

(ب) التفاعل الروحي والوجداني مع تعاليمه الخالدة مما يوجد جوّاً من الصفاء والنقاء، فيؤدّي فيه الصوم وظيفته خير أداء.

(ج) تغذية الشعور، إذ يشعر الإنسان وخصوصاً الصائم بأعظم الشرف ولسانه يترتّل كلام الله العظيم.

3- الدعاء: من المستحبات دعاء الصائم بالأدعية المأثورة عند إبطاره، ففي الوسائل، ج7، محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن الإمام جعفر الصادق، عن آبائه

(ع)، أن رسول الله (ص) كان إذا أفطر، قال: "أَللّهُمَّ لَكَ صُومُنَا وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْهُ مِنَّا.. دَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَبَقِيَ الْأَجْرُ".

وفي نفس المصدر، عن الحسين بن محمد، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: "تقول في كلِّ ليلة من شهر رمضان عند الإفطار إلى آخره: الحمد لله الذي أعاننا فصمنا، ورزقنا فأفطرننا.. أَللّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا وَأَعِزَّنَا عَلَيْهِ وَسَلِّمْ مَنَّا فِيهِ وَتَسَلِّمْ مَعَهُ مِنَّا فِي يَوْمِ مَنَّاكَ وَعَافِيَةٍ.. الحمد لله الذي قضى عذابنا يوماً من شهر رمضان".

وفي نفس المصدر، عن محمد بن محمد بن محمد المفيد في (المقنعة)، عن الإمام الصادق (ع)، قال: "دعوة الصائم تُستجاب عند الإفطار".

وعندما نلتفت إلى الدُّعاء، نرى حشداً كبيراً من الأدعية القصيرة والطويلة حسب ما يقتضيه المقام، والتي ضمَّنها الأئمة المعصومون التلقينات العقائدية الصافية، والإيحاءات التربوية العالية، وتلك المفاهيم الكثيرة الصحيحة وذلك لتهيئة ذهنية الإنسان المؤمن الصائم أن يدرك بوضوح أن الشريعة كلّها لا يتجزأ، كلّها لا تنفصل أجزاءه عن بعضها، وهذا الكلُّ الذي لا يتجزأ يساهم مساهمة فعّالة في عملية تنمية الشعور وتأكيد العلاقة مع الله.

ويمكننا أن نستعرض بإيجاز نوعية المساهمة التي يقوم بها الدعاء في رُفد وتنمية شعور الصائم، فيما يلي من نقاط:

1- تهيئة الجو الروحي، والصفاء القلبي الذي يجعل النفس الإنسانية مستعدة دائماً لتقبُّل عطاء الصوم، وهذا يحصل:

أ) بتوفير الجوِّ الذي تعود فيه الروح إلى براءتها الصافية فتبكي وتتضرّع وتشكو وتُغفِّر الخدّين وتتملّل وتستعطف.. وهي في هذه الحالة تُعبِّر عن ضعفها أمام الجبار الخالق، وهو الضعف الوحيد الذي يشعر معه المرء بالإعتزاز، فنرى الدعاء هو الذي يقوم بتوفير مهمة التعبير عن هذا الشعور وهذه الحالة.

"سيدي، أنا الصغير الذي ربَّيتَه، وأنا الجاهل الذي علَّمته، وأنا الطفل الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الخائف الذي أمَّنَّته".

"إلهي، لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرّضت، وسوّّلت لي نفسي وغلّبتني هواي، أعانتني عليها شقوتي".

(ب) بالحثّ على التوبة وتطهير النفس:

"أدعوك يا سيّدِي بلسانٍ قد أخرسه ذنبه، ربّ أناجيك بقلبٍ قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيتُ مولاي ذنوبي فزعتُ، وإذا رأيتُ كرمك طمعتُ، فإن عفوت فخير راحم، وإن عذبت فغير ظالم".

"وما أنا يا ربّ، وما خطري، هبّني بفضلك، وتصدّق عليّ بعفوك".

ويمكن أن تصل لحظات التوجّه والعروج النفسي إلى درجات رفيعة فلا يمكن للحرف أو الكلمة أن يُعبّرَان عنها بشيء، وذلك في سكنات الليل البهيم، والسّحر الهادئ الصامت، حيث تنهال الدموع وتتكرر الكلمات على الشفاه وتتصاعد الآهات والإعترافات للخالق المنعم، إنها قمة الاستعطاف من العبد في جوٍّ هو القمة من القرب الإلهي.

"ألهمّ إنّي كلما قلتُ قد تهيأتُ وتعبأتُ وقمتُ للصلاة بين يديك وناجيتك، ألقيت عليّ نعاساً إذا أنا صليتُ، وسلّبتني مناجاتك إذا أنا ناجيتُ، ما لي كلما قلتُ قد صلّحت سريرتي وفّرّب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالتي قدمي وحالت بيني وبين خدمتك، سيّدِي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني".

2- تغذية وتنمية الشعور بكلّ الأحاسيس والإشارات التي من شأنها رفع المستوى النفسي إلى درجات القرب من الله. فهي تُربّي في الإنسان الإرادة وتدفعه لطلب العون على النفس دائماً.

"وأعزّي على نفسي بما أعنت به الصالحين على أنفسهم واختم عملي بأحسنه".

وهي تُذكّر به بالنعمة، وتدفعه لحمد الله وشكره عليها: "إلهي، ربّيتني في نعمك وإحسانك صغيراً، ونوّّنت باسمي كبيراً، فيا مَنْ ربّاني في الدنيا بإحسانه وفضله ونعمه، وأشار لي في الآخرة إلى عفوه وكرمه، معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحبّي لك شفيعي إليك".

وهي تُنمّي لديه الحس الأخلاقي بالمواساة والتعاطف ومشاركة الآخرين من الأحياء والأموات في عواطفهم ومشاعرهم.

"أَلْهَمْ ادخل على أهل القبور السرور.. أَلْهَمْ أغنِ كلَّ فقير.. أَلْهَمْ أشبع كلَّ جائع.. أَلْهَمْ اكسُ كلَّ عريان.. أَلْهَمْ اقض دين كلَّ مدين.. أَلْهَمْ فرِّج عن كلِّ مكروب".

وتجعله يستعيز بالله من النواقص:

"أَلْهَمْ إنَّني أعوذ بك من الكسل والفشل والهمَّ والجبن والبخل والغفلة والقسوة والمسكنة والفقر والفاقة وكلِّ بلية".

وهي تذكر الإنسان بيوم القيامة وأهله، بتصوير رائع مؤثّر في دعاء السَّحَر:

"فما لي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكرٍ ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عُريانا ذليلاً حاملاً ثقلي على طهري، أنظر مرّةً عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأنٍ غير شأني، لكلِّ امرئٍ يومئذٍ شأنٌ يغنيه، وجوهٌ يومئذٍ مُسفرة ضاحكة مستبشرة، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرةٌ ترهقُها قَدَرَةٌ".

"أَلْهَمْ إنَّني أسألك خشوع الإيمان قبل خشوع الذُّل في النار".

وهي تؤكّد في النفس الإخلاص التام:

"وأُبرِّءُ قلبي من الرِّياء والشُّكِّ والسمعة في دينك حتى يكون عملي خالصاً لك".

وهي بتربيتها العقائدية تُركّز معنى العبودية المطلقة له تعالى:

"الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌ من الدُّل وكبَّره تكبيراً.. الحمد لله بجميع محامده كلّها على جميع نعمه كلّها.. الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه ولا منازع له في أمره.. الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبيه له في عظمته.. الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده الظاهر بالكرم مجده".

هذه بعض فوائد الذُّعاء وبعض ما له من تأثير.

4- أن لا يدع أمانة في عنقه إلا أدّاها لصاحبها.

5- أن لا يدع حقداً في قلبه على مؤمن إلا اجتهد في إزالته.

6- أن لا يدع ذنباً هو مرتكبه إلا أقلع عنه.

7- أن يتوكّل على الله في أمره، سرّاً وعلانية.

8- استعمال الجوارح في الطاعات وكفّها عن المعاصي.

9- ترك التنازع والتحاسد وكفّ الأذى.

10- لزوم الصمت إلا بالذُّعاء والذكر والتلاوة.

11- غضّ الطرف عن محارم الله.

12- اجتناب سماع اللهو وجميع المقال الذي لا يرضاه الله تعالى.

13- هجر المجالس التي يُمنّع فيها ما يُسخط الله تعالى.

14- ترك الحركة في غير طاعة الله تعالى.

15- إنَّ المُحرّّـمات وإن حُرّـمت في شهر رمضان وغيره، إلا أنها فيه أفحش، وتركها فيه آكد، فكما يعظم فيه الطاعات، يعظم فيه عقاب المعاصي.

16- كثرة الصدقة وأفعال الخير.

17- الإحسان إلى الأسير وعدم ردّ السائل.

18- الصبر على شتم مَنْ يشتمه وترك المجادلة والحلف.

19- استحباب القيلولة للصائم (وهي النوم نصف النهار)، فقد ورد عن النبي(ص): "نوم الصائم عبادة ونَفَسَه تسبيح". ورُوِيَ عن الإمام علي بن أبي طالب(ع): "فإنَّ اِ يَطْعَم الصائم ويسقيه في منامه".

20- إجابة دعوة أخيه المؤمن.

21- تمجيد اِ والثناء عليه وعلى رسوله(ص).

22- بدء الإفطار بحلواء أو ماء فاتر أو لبن، فقد كان الإمام علي بن أبي طالب(ع) يحبُّ أن يفطر على اللبن، وكان رسول الله(ص) إذا فطر بدأ بحلواء يفطر عليها، فإن لم يجد فسكَّر أو تمرات، فإذا اعوز ذلك كَلَّه فماء فاتر، وكان يقول: "يُنَقَّى المَعِدَّة والكبد وَيُطَيِّب النكهة والفم وَيُقَوِّي الأضراس وَيُقَوِّي الحلق ويجلو الناظر ويغسل الذنوب غسلاً، وَيُسَكِّن العروق الهائجة والمُرَّة الغالبة، ويقطع البلغم وَيُطْفئ الحرارة عن المعدة وَيُذهب بالصداع".

وفي الوسائل، ج7، عن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن جعفر بن عبادٍ الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبادٍ الصادق(ع)، قال: "كان رسول اِ أوَّل ما يَفْطَر عليه في زمن الرُّطَب، الرُّطَب.. وفي زمن التمر، تمر".

وعنه، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن الإمام جعفر، عن أبيه (ع)، قال: "كان رسول اِ إذا صام فلم يجد الحلوى، أفطر على الماء".

23- يُسْتَحَبُّ تقديم الصلاة على الإفطار، ففي الوسائل، ج7، وعنه، عن محمد وأحمد ابني الحسن، عن أبيهما، عن عبادٍ بن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبادٍ الصادق(ع)، قال: "يُسْتَحَبُّ للصائم إن قَوَّى على ذلك أن يُصَلِّيَ قبل أن يَفْطَرَ".

وفي نفس المصدر، محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن الحلبي، عن أبي عبادٍ الصادق(ع) أَنَّهُ سُئِلَ عن الإفطار، أقبل الصلاة أو بعدها؟ فقال: "إن كان معه قوم يخشى أن يحبسَهم عن عشاءهم (إفطارهم)، فليُفْطِر معهم، وإن كان غير ذلك، فليصلِّ ثمَّ ليُفْطِر"، إلا أن يكون هناك مَنْ ينتظر إفطاره أو تُنَازَعه نفسه.

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر(ع) أنه قال: "في شهر رمضان تُصَلِّي ثم تُفطر إلا أن تكون مع قومٍ ينتظرون الإفطار، فلا تخالف عليهم وافطر معهم ثم صلِّ، وإلا فابدأ بالصلاة".

قلتُ: فلمَ ذاك؟

قال: "لأنه حضركَ فرضان: الإفطار والصلاة، فابدأ بأفضلهما، وأفضلهما الصلاة".

ثم قال: "تُصَلِّي الفرض وأنت صائم فتكتب صلاتك لك، فتختتم بالصوم أحبُّ إليَّ".

24- يستحبُّ تفطير الصائم بما تيسَّر، ويتأكَّد في شهر رمضان.

قال رسول الله ﷺ (ص): "مَنْ فَطَّرَ صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينتقص منه شيء وما عملَ بقوة ذلك الطعام من برِّ".

وفي خطبته (ص) في آخر جمعه من شهر شعبان: "مَنْ فَطَّرَ فيه (أي شهر رمضان) صائماً مؤمناً في هذا الشهر المبارك كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه".

ف قيل: يا رسول الله، ليس كلنا يقدر على أن يُفطِّر صائماً.

فقال: "إنَّ الله كريم يعطي هذا الثواب مَنْ لم يقدر إلا على مُدَقَّة من لبن يُفطِّر بها صائماً أو شربة من ماءٍ عذبٍ أو تمراتٍ لا يقدر على أكثر من ذلك".

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر(ع): "أَيُّمَا مؤمن فَطَّرَ مؤمناً ليلةً من شهر رمضان كتبَ الله له بذلك أجر مَنْ أعتق نسمةً، ومَنْ فَطَّرَ في شهر رمضان كلَّه كتبَ الله له بذلك أجر مَنْ أعتق ثلاثين نسمة، وكان له بذلك عند الله دعوة مستجابة".

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع): "مَنْ فَطَّرَ مؤمناً كان كفَّارة لذنوبه إلى قابل، ومَنْ فَطَّرَ اثنين كان حقاً على أن يُدخله الجنة".

وروي أيضاً عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع): "مَنْ أَشْبَعَ فيه (أي شهر رمضان) صائماً سقاه الله من

الحوض بشربةٍ لا يظماً بعدها أبداً حتى يدخل الجنّة وكان كمن أعتق رقبة".

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر (ع): "لأن أطفائنا مؤمناء في بيتي أحبُّ إليّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل".

وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع): "فطرك أخاك الصائم أفضل من صيامك".

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): "يا سدير، إفطارك أخاك المسلم يعدل رقبة من ولد إسماعيل".

25- استحباب إجابة الصائم ندباً دعوة أخيه المؤمن ويُسْتَحَبُّ أن لا يعلمه بصومه، فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): "لإفطارك في منزل أخيك المسلم أفضل من صيامك سبعين ضعفاً".

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): "مَنْ دخل على أخيه وهو صائم فأفطره عنده ولم يعلمه صومه فيمن عليه، كتبَ له صوم سنة".

26- استحباب السحور: ففي الوسائل، ج7، عن علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: "ويستحب للعبد أن لا يدع السحور".

وقد ورد في استحباب السحور: أنه جاء عن رسول الله (ص): "إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على المستغفرين والمتسحِّرين بالأسحار، فليتسحَّروا أحداكم ولو بشربةٍ من ماء".

وقال (ص): "السحور بركة، فلا تدع أُمَّتِي السحور ولو على حشفة تمر".

وعنه، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر، عن آبائهم (ع)، قال: قال رسول الله (ص): "السحور بركة".

وقد روى الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، عن رسول الله (ص)، قوله: "تسحَّروا ولو بجرع الماء، ألا صلوات الله على المتسحِّرين".

قيل وروى سماعة، قال: سألته عن السحور لمن أراد الصوم، فقال: "أمّا في شهر رمضان، فإنّ الفضل في السحور ولو بشربة من ماء، وأمّا التطوع في غير شهر رمضان لمن أحبّ، فمن تيسّر فليفعل ومَن لا يفعل فلا بأس".

وقال رسول الله (ص): "تعاونوا بأكل السحور على صيام النهار وبالنوم عند القيلولة على قيام الليل".

27- استحباب التسخّر بالتمر والزبيب: ففي الوسائل، ج7، محمد بن الحسن بإسناده عن علي بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: "أفضل سحورك السويق والتمر".

وعنه، عن الحسن بن علي بن يوسف، عن عبد الله بن سالم، عن يوسف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول: "كان رسول الله يكثر على الأسودين".

قلت: يرحمك الله، وما الأسودان؟

قال: "التمر والماء والزبيب والماء ويتسخّر بهما".

28- قرب السحور من الفجر.

29- قراءة سورة القدر عند السحور، فقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): "مَن قرأ القدر عند سحوره وعند إفطاره كان بينهما كالمتشجّط بدمه في سبيل الله".

30- دعاء السحر (دعاء البهاء).

31- دعاء السحر الصغير.

32- دعاء أبي حمزة الثمالي.

المصدر: كتاب في رحاب شهر رمضان